

« بنسيون »

و/عبد اللطيف بدوي

★ بنسیون ★

الكتاب : بنسيون

التصنيف : رواية

المؤلف : عبد اللطيف بدوي

التصحيح اللغوي : دينا عيسى

تصميم الغلاف : مروة صلاح

التنسيق الداخلي : أحمد طه

الطبعة الأولى : 2027 / 2026

رقم الإيداع : ١٦٦٧٥ / ٢٠٢٦

الترقيم الدولي : ٢ - ٤٩ - ٨٤٩٠ - ٦٣٣ - ٩٧٨

الناشر : دار انطلاق للنشر والتوزيع

مدير الدار / احمد مكي

startpublishing372@gmail.com : للتواصل

من هنا تبدأ الحكايات ويبدأ الأثر

تليفون الدار : ٠١١٥٥٧٩٩٣٢١

جميع الحقوق محفوظة للناسر ©

وأي اقتباس أو تقليد أو إعادة طبع أو نشر دون موافقة كتابية، يعرض صاحبه للمساءلة القانونية، أما حقوق الملكية الفكرية والآراء والمادة الواردة في الكتاب فهي خاصة بالكاتب فقط لا غير.

★=====بنسيون=====★

شتاء عام ١٩٤٦ أجواء ما بعد الحرب العالمية الثانية

حيث يسود الغموض والاضطراب النفسي

بنسيون راقي في ميدان الإسماعيلية (التحرير حاليًا) بوسط مدينة
القاهرة.

يتم العثور على علوي باشا رجل أعمال ثري ونافذ وله ماضي
غامض مقتولاً في غرفته المغلقة بمفتاح من الداخل.. الجثة هامة
على مكتبه والسّم في كأس النبيذ لكن هناك طعنة خفيفة في ظهره،
أيضًا الحقيبة الجلدية التي كان يحملها دائماً اختفت.

★=====بنسيون=====★

"الفصل الأول"

★————بنسيون————★

كانت ليلة الحادي عشر من شهر نوفمبر لعام ١٩٤٦ كابوساً رمادياً ممتداً، المطر في الخارج لا يتوقف عن جلد نوافذ بنسيون (التاج الملكي) الخشبية بضربات قاسية ورتيبة.

هذا البنسيون الراقي القائم بميدان الإسماعيلية (التحرير حالياً) بينما لف مدينة القاهرة ضبابٌ كثيف متحرك كأنه كفن يقطع هذا البنسيون عن بقية العالم، في الداخل كانت أنوار المصابيح الكهربائية المتدلية من السقف تتذبذب بين الحين والآخر بفعل الرياح التي تضربها مما يضيف ظلالاً راقصة وموحشة على الجدران المكسوة بورق حائط باهت من مخلفات ما قبل الحرب العالمية الثانية.

في الركن الأبعد من ساحة البنسيون السفلي جلس المحقق يحيى، كان معطفه الطويل القاتم لا يزال مبللاً عند الأطراف وطربوشه يستقر على الطاولة الجانبية

★=====بنسيون=====★

بجوار مفكرته الجلدية وقلمه الحبر من طراز (باركر ٥١) كان يمسك بسيجارته ويدخن ببطء ويتصاعد دخان السجارة ويمتزج برائحة الرطوبة والأثاث العتيق..

لم يكن يحيى هناك طلبًا للراحة، كان يدير في رأسه كلمات تلك الرسالة المشفرة التي تلقاها من علوي باشا قبل أيام، والتي مسّت وترًا حساسًا في روحه المعذبة بالذنب :

" تعال إلى بنسيون (التاج الملكي) لدي ما يبرئ ذمتك من خطأ الماضي "

ذلك كان نص الرسالة...

جلس يحيى يراقب الحاضرين في ساحة البنسيون بنظرات صامته تشبه نظرات صقر يتربص حركته القادمة على الجانب الآخر من ساحة البنسيون، كان التوتر ملموسًا.

★=====بنسيون=====★

محسن المساعد الشخصي لعلوي باشا كان يفرك يديه
المرتعشتين باستمرار وعيناه الزائغتان تلتفتان نحو السلم
الخشبي المؤدي للطابق الثاني كلما سمع صوت صرير.

سترة بدلتها الأنيقة تبدو غريبة على ملامحه المرهقة التي
تفضح ليالي السهر الطويلة على طاولات القمار الخفية.

أمّا مريم الزوجة الشابة فكانت تجلس على مقعد مخملي
قرب المدفأة ملتفة بمعطف من الفرو الثمين الذي يبدو
كدروع تحمي جسدها المستباح من ذكريات إهانات
علوي باشا...

كانت ملامحها جامدة وأحمر شفاهها الداكن يبرز
شحوب وجهها بينما كانت عيناها تتجنب النظر إلى
الجميع مُغلقة على سرها الصغير وعلاقتها بالفنان الذي
حطم علوي باشا لوحته.

★————بنسيون————★

في الزاوية المعتمدة القريبة من المطبخ وقفت الخادمة
ماجدة ممسكة بمنديل قماشي تقبض عليه بأصابعها
النحيلة حتى ابيضت مفاصلها وكانت عيناها معلقتين
بالدكتور فريد الذي كان يجلس في هدوء مرعب يرتدي
وزرته الطبية البيضاء الناصعة ويطالع رقعة شطرنج
صغيرة وضعها أمامه يحرك قطعها ببرود شديد دون أن
يلتفت لأحد، كان يعلم أنّ ماجدة تنتظر إشارته.

فجأة... في تمام الساعة الحادية عشر والنصف انشق
سكون الليل بصراخ حاد ممزق ومذعور هزّ أركان
البنسيون بالكامل، كان صراخًا أنثويًا صادرًا من الطابق
الثاني.

قفز يحيى من مقعده بحركة سريعة غابت عنها علامات
تقدم السن واندفع نحو السلم الخشبي الذي كان يئنُّ تحت
وطأة أقدامه المتسارعة وتتبعه بقية النزلاء بوجوه خطف
الرعب ألوانها، تلاحقت الأنفاس بالمر الضيق بالطابق

★=====بنسيون=====★

الثاني حتى توقفوا جميعًا أمام الغرفة رقم (٥) غرفة
علوي باشا...

كانت ماجدة واقفة عند عتبة الباب يديها ترتعش بعنف
وهي تشير إلى الداخل وجسدها ينتفض كعصفور بالله
المطر.

تجاوزها يحيى ببرود محترف ودخل الغرفة مستعينا
بضوء كشافه اليدوي الصغير.

كان المشهد لوحة سريالية صامته من الموت
المأساوي...

علوي باشا رجل الأعمال النافذ السادي كان مستلقيًا
بجسده الضخم فوق مكتبه الخشبي الفاخر، رأسه مائلة
إلى الجانب وعيناه جاحظتان تنظران إلى الفراغ برعب
شديد، تجمّد في لحظته الأخيرة، شفّته كانتا تميلان إلى
الزرقعة الداكنة.. أمامه على المكتب كأس من الكريستال

★=====بنسيون=====★

مسكوب جزئيًا ورائحة اللوز المر تفوح منه لتملاً الغرفة
بانذار كيميائي واضح، وبجانب الكأس كانت تقبع ساعة
جيبه الذهبية الشهيرة وقد تحطم زجاجها وتوقفت
عقاربها عند الساعة الحادية عشر وخمس دقائق...

- " لا أحد يلمس شيئاً تراجعوا إلى الخلف "

هكذا قال يحيى بصوت جهوري حازم قطع همسات
الرعب التي بدأت تتعالى.

انحنى يحيى فوق الجثة بفحص دقيق ومحترف، النظرة
الأولى لعلامات الاختناق والزرقة كانت تشير بوضوح
إلى سم السيانيد ولكن عندما دار يحيى حول المكتب
وفحص ظهر الضحية لاحظ شيئاً جعل حاجبيه يلتقيان
بغرابة، كان قميص علوي باشا الأبيض الناصع ملوثاً
ببقعة دماء قانية وصغيرة في منتصف الظهر كانت هناك
طعنة دقيقة وخفيفة لكنها لم تنزف بغزارة.

★ بنسيون ★

رفع يحيى عينيه سريعاً لمسح الغرفة النافذة الزجاجية الكبيرة كانت مغلقة بإحكام من الداخل ومقفل رتاجها الحديدي، الباب كان مغلقاً عندما صرخت ماجدة ثم التفت حيث اعتاد علوي باشا أن يضع حقيبته الجلدية السوداء التي تحتوي على وثائق إدانة الجميع، كانت الطاولة فارغة تماماً.

التفت يحيى ببطء نحو الحشد الواقف عند عتبة الباب في تلك اللحظة ضربت صاعقة رعدية قوية في الخارج أضاءت الغرفة عبر الزجاج للحظة واحدة فكشفت ملامح الوجوه الأربعة في الظلام المؤقت...

- وجه مريم التي بدأت تصطنع بكاءً لم يصل إلى عينيها الجشعتين

- وجه محسن الذي كان يتصبب عرقاً ويمسك بجيب سترته

★=====بنسيون=====★

- نظرة الدكتور فريد الباردة التي تخلو من أي مفاجأة

- وانكماش ماجدة الخادمة

أغلق يحيى باب الغرفة ببطء ووقف أمامهم عازلاً إياهم
عن مسرح الجريمة وقال بنبرة هادئة حملت تهديداً
مبطناً :

" النافذة مغلقة من الداخل والباب كان مقفلاً هذا يعني
حقيقة واحدة لا تقبل الجدل، القاتل لم يغادر هذا المبنى،
إنه واقف معنا في هذه اللحظة يتنفس هواءنا وينتظر
انقشاع الضباب "

وفور انتهاء كلمته دوت صاعقة رعد مطلق أقوى من
سابقاتها وانفجرت معها الأسلاك الكهربائية لتتطفئ أنوار
البنسيون بالكامل ويغرق الجميع في ظلام دامس وسواد
مطلق.

★=====بنسيون=====★

"الفصل الثاني"

★=====بنسيون=====★

ابتلع الظلام كلّ شيء في كسر من الثانية وتحولت
الغرفة رقم (٥) إلى صندوق مغلق من العتمة المطلقة
والأنفاس المتلاحقة المذعورة...

في تلك اللحظات المعدودة التي أعقبت انقطاع الكهرباء
لم يعد هناك مكان للأعين بل شحذت الأذان، سمع
صوت حركة سريعة خاطفة، احتكاك قماش خشن بجدار
الغرفة ثم تلاه صوت ارتطام حفيف معدني ورنان سقط
فوق الأرضية الخشبية وأعقبه صرخة مكتومة وحادة من
الزوجة الشابة مريم...

- " لا يتحرك أحد من مكانه من يخطو خطوة واحدة
سأعتبره القاتل "

هذه هي كلمات المحقق يحيى وسط العتمة بحزم ثم
أخرج من جيب معطفه علبة كبريت وحاكاً عوداً
صغيراً...

★=====بنسيون=====★

الضوء البرتقالي الضئيل والمتراقص عكس ظلالاً مشوهة وعلاقة للحاضرين على السقف.

تحرك يحيى بحذر وعيناه لا تفارق الوجوه حتى وصل إلى الشمعدان البرونزي المستقر فوق المدفأة وأشعله ليعود النور الخافت ويميط اللثام عن مشهد جديد من التوتر.

كان الجميع يقفون في أماكنهم تقريباً لكن علامات الرعب كانت قد حفرت بعمق محسن المساعد الشخصي لعلوي باشا...

كان يقف قريباً بشكل مريب من مكتب الراحل علوي باشا ويده مستقرة داخل جيب سترته كأنه يخفي شيئاً.

بينما كانت يد الدكتور فريد القوية قابضة بقسوة على ذراع مريم التي كانت ترتجف بعنف وعيناها معلقتان بالأرض...

★ بنسيون ★

انحنى يحيى ببطء والتقط الشيء الذى سقط في الظلام
قرب حذائه الثقيل؛ كانت سكينه ورق ذهبية مدببة نصلها
يحمل لمعه باردة وثمة بقعة داكنة جافة عند مقبضها.

نظر يحيى إلى مريم ثم إلى الدكتور فريد ودون أن ينطق
بكلمة وضع السكين في جيب معطفه الداخلي ثم ساق
يحيى الجميع أمامه نزولاً إلى الصالون السفلي بساحة
البنسيون.

كان صرير درجات السلم الخشبي تحت أقدامهم يبدو
كأنه عد تنازلي لشيء مخيف في الصالون، كانت نيران
المدفأة تلفظ أنفاسها الأخيرة تاركاً الغرفة في برودة
قاسية تشبه برودة الموت في الطابق الثاني.

اتخذ يحيى مكانه وراء مكتب خشبي صغير ووضع
طربوشه ومفكرته أمامه بينما جلس المشتبه بهم الأربعة
على المقاعد الجلدية المتقابلة يحيط بهم الضباب الذي
كان يضغط على زجاج النوافذ كأنه يريد اقتحام المكان.

★=====بنسيون=====★

خطوط الهاتف مقطوعة والطريق منهار بسبب الوحل
والأمطار الغزيرة والعاصفة الرعدية..

قال يحيى وهو يشعل سيجارته بتمهل يثير الأعصاب :

- نحن معزلون عن العالم حتى تشرق الشمس وهذا
يعطينا متسعاً من الوقت للحديث بصدق، لنبدأ بكِ يا سيدة
مريم

التفت الأعين كلها نحو مريم، كانت تجلس واضعةً يداً
على يد تحاول جاهدة السيطرة على رعشة شفثيها
المطلبتين بأحمر الشفاه الداكن لكن فستانها المخملي كان
يهتز مع كل نفس تأخذه.

يحيى يدخل السيجارة بشراهة وينفث دخانها بكثافة

- سيدة مريم، الساعة الآن تقترب من منتصف الليل
ساعة زوجك الراحل تحطمت وتوقفت عند الحادية عشر
 وخمس دقائق، أين كنتِ في ذلك الوقت تحديداً ؟

★=====بنسيون=====★

مريم بصوت حاد محمل بحزن مصطنع :

- كنت في غرفتي بالطابق السفلي أقسم لك كنت أحاول
قراءة رواية لكن صوت الرعد كان يمنعني من النوم.

يحيى يميل بجسده للأمام ويثبت عينه في عينيها :

- غريب جداً الغرفة رقم (٥) تقع مباشرة فوق غرفتك،
سقف البنسيون خشبي وقديم وينقل أقل الأصوات، ألم
تسمعي أيّ حركة أو شجار صوت كأسٍ تتحطم، طعنة
في الظهر مثلاً؟

مريم تتردد وتلتفت نحو الدكتور فريد بطرف عينيها
مستجدة :

- لا لم أسمع شيئاً، علوي كان رجلاً صعباً وغالباً ما
كان يغلق على نفسه الباب ليلاً ليرتب حساباته ويطلب
مني عدم إزعاجه.

★=====بنسيون=====★

هنا لم يستطع محسن السكوت، ضحك بسخرية مريرة
التوت لها شفتيه وقال :

- تقرأين رواية يا سيدتي أم كنتِ بانتظار حريتك؟ الكل
في المدينة يعلم أنّ هذا الزواج كان صفقة قذرة وأنّ
علوي باشا كان يحبسك كالعصفور وأنتِ لم تكوني
طائعة لأوامره في الآونة الأخيرة خاصة بعد أن مزق
لوحتك الثمينة

وقفت مريم صارخة بوجه شاحب وعينين متسعيتين :

- الزم حدك يا محسن أنت مجرد خادم اشتراه زوجي
بديون قمارك أنت آخر من يتحدث عن الشرف في هذا
البيت.

★=====بنسيون=====★

لم يتدخل يحيى لفض الشجار بل كان يراقب ردود الأفعال بدقة عالية لكن انتباهه تشتت فجأة نحو زاوية الغرفة المعتمة حيث كانت الخادمة ماجدة تنكمش على مقعدها الخشبي...

انحنى يحيى قليلاً ليلاحظ حذاءها البسيط كان ثمة طين أحمر لزج يغطي الجزء السفلي منه وهو نفس الطين الذي لا يوجد إلا في الحديقة الخلفية للبنسيون أسفل نافذة غرفة علوي باشا مباشرة والأكثر إثارة وهو وجود بقعة زيتية صغيرة داكنة على كم فستانها الأخضر البسيط رائحتها تشبه رائحة زيت المحركات الثقيل...

في هذه الأثناء تقدم دكتور فريد ببرود شديد وأخرج يده من جيب سترته البيضاء الناصعة وعدل نظارته الطبية ثم قال بنبرة هادئة :

- محقق يحيى، بدلاً من إضاعة الوقت في مشاحنات عائلية تافهة هناك أمر طبي مشوق يجب أن تلتفت إليه

★=====بنسيون=====★

بصفتك رجل قانون... زرقاة الشفاه على جثة علوي
والعينان الجاحظتان تؤاكدان أنه شرب سم السيانييد هذا
السم يقتل في ثوانٍ معدودة بشلل الخلايا فكيف ولماذا
طُعن في ظهره أيضًا ؟

التفت يحيى إلى الدكتور فريد وضيق عينيه خلف
نظاراته ونفت سحابة من الدخان وقال :

- هذا هو السؤال الاكثر ذكاءً هذه الليلة يا دكتور فريد
الطعنة كانت سطحية ولم تقتل لأنها حدثت بعد أن توقف
القلب عن النبض ولم ينزف الدم بغزارة وهذا يضعنا
أمام فرضية مرعبة هل كان القاتل خائفًا من ألا يعمل
السم فطعنه أم أنّ هناك قاتلان دخلا الغرفة في نفس
الليلة ونفذوا جريمتهم دون أن يعلم أحدهما عن الآخر؟

ساد صمت ثقيل كالجبل في الصالون ونظر الجميع إلى
بعضهم بعضًا بنظرات مليئة بالشك والريبة والموت.

★=====بنسيون=====★

"الفصل الثالث"

★=====بنسيون=====★

وقع تفسير يحيى كالصاعقة فوق الرؤوس... قاتلان في
نفس الغرفة...

ساد الصمت مجددًا لكنه لم يكن صمتًا عاديًا بل كان
صمتًا مشحونًا بالترقب والتوجس حيث بدأت الأقنعة
تتشقق ببطء تحت وطأة الخوف تلاعبت النيران الهابطة
في المدفأة بظلال الحاضرين فبدوا على الجدران
كوحوش يتربص بعضها ببعض.

نقل يحيى نظراته الثاقبة عن وجه الطبيب البارد واستقر
بها عند زاوية الغرفة المعتمة حيث كانت الخادمة ماجدة
تنكمش على نفسها كأنها تحاول الاختفاء من الوجود.

خطا يحيى خطوات بطيئة نحو ماجدة وتوقف أمامها
مباشرة مما جعلها ترفع رأسها بذعر...

★=====بنسيون=====★

انحنى قليلاً وأشار بأصابعه إلى أسفل فستانها الأخضر
البسيط وقال لها :

- ماجدة، الطين الأحمر الذي يلوث حذاءك وأطراف
فستانك لا يوجد في هذه المنطقة إلا في البقعة المحيطة
بالحديقة الخلفية تحديداً أسفل نافذة مكتب علوي باشا
مباشرة، والزيت على كم فستانك هو زيت محركات ثقيل
الساعة الحادية عشر ليلاً في عز العاصفة والبرق ما
الذي كان يفعله جسدك النحيل هناك ؟

ماجدة تزداد شحوباً وتتشبث بمنديلها القماش حتى
احمرت يدها :

- أنا... أنا كنت أتفقد النوافذ الخلفية للبنسيون للتأكد من
إغلاقها بفعل الرياح العاتية يا سيدي.

★=====بنسيون=====★

يحيى يبتسم بسخرية مريرة :

- حقًا وهل تتفقدين النوافذ وسلم الحديقة الخشبي المستند على الجدار وهل رائحة زيت المحركات تأتي من المطر؟ لقد كنتِ تحاولين الصعود أو ربما كنتِ بانتظار شيء يسقط من تلك النافذة كحقيبة جلدية سوداء مثلاً.

قبل أن تجيب ماجدة انهمرت دموعها فجأة لكنها لم تكن دموع خوف أو استعطاف بل كانت دموع قهر وغيظ مكبوت لسنوات...

وقفت ونظرت إلى الجميع بتحدٍ وعيناها تلمعان :

- نعم كنت تحت نافذته في الظلام، علوي باشا ليس ضحية إنه شيطان مرتدي بدلة فاخرة... في أثناء الحرب استغل نفوذه وانتزع أرض عائلتي وتسبب في موت أبي عمداً بعد أن زوّر وثائق الملكية وطرّدنا من أرضنا جئت للعمل هنا في هذا البنسيون كخادمة غرف فقط لكي

★=====بنسيون=====★

أستعيد تلك الأوراق من حقيبته السوداء الملعونة لكنني أقسم لكم عندما وصلت إلى النافذة كانت مغلقة تمامًا ورأيت ظلًا يتحرك بالداخل فخفت وهربت قبل أن يراني أحد.

التفت يحيى إلى دكتور فريد الذي كان يتابع اعتراف ماجدة الساخن بهدوء يثير الأعصاب ممسكًا بقطعة قماش حريرية يسمح بها نظارته الطبية بعناية فائقة.

يحيى :

- دكتور فريد، أنت طبيب وتعرف تأثير السيانيد بدقة كيميائية لكنك أيضًا كنت المستشار المالي لعلوي في الآونة الأخيرة وتطلع على حساباته وسجلاته والكل في المدينة يعلم أنّ علوي كان يخطط لرفع دعوى قضائية بتهمة اختلاس أموال طائلة ضد مجهول في شركته هل كان هذا المجهول يرتدي معطفًا طبيًا مثل معطفك؟

★ بنسيون ★

الدكتور فريد يضع نظارته ببطء ويجيب بنبرة خالية من المشاعر :

- محقق يحيى، اتهاماتك مرسلّة ومحض تخمينات؛ أنا رجل علم وعملي واضح، نعم علوي كان يمر بأزمة مالية خانقة وبصفتي صديقه وطبيبه كنت أحاول مساعدته في إعادة ترتيب أوراقه أما عن وجودي هنا الليلة فقد استدعاني علوي بنفسه لأنه كان يشعر بآلام حادة في الصدر وضيق تنفس.

يحيى :

- وماذا عن الساعة الحادية عشر وخمس دقائق أين كنت تحديدًا؟

الدكتور فريد :

- كنت في الجناح الشرقي للبنسيون أتناول القهوة مع محسن مساعد علوي يمكنه تأكيد ذلك.

★=====بنسيون=====★

نظر يحيى إلى محسن فقام الأخير برأسه سريعاً وتحدث بصوت مرتعش :

- نعم نعم كنا معاً في الجناح الشرقي من الحادية عشر حتى الحادية عشر والنصف تماماً في الواقع سمعنا صوت علوي باشا بوضوح يتحدث بصوت مرتفع من غرفته في الحادية عشر والرابع يبدو أنه كان يتحدث في الهاتف أو يملي رسالة بغضب كعادته.

ضيّق يحيى عينيه خلف سحابة الدخان الكثيفة الخارجة من سيجارته :

- سمعتم صوته في الحادية عشر والرابع.

التفت يحيى بلمحة ذكاء خاطفة إلى ساعة الجيب المحطمة في غرفة علوي والتي توقفت عقاربها تماماً عند الحادية عشر وخمس دقائق... هذا التناقض الزمني الصارخ يعني شيئاً واحداً لا ثاني له في علم الجريمة...

★=====بنسيون=====★

إِذَا أَنَّ السَّاعَةَ حَطَمَتْ عَمْدًا لَتَضْلِيلٍ وَقَتِ الْوَفَاةِ وَإِذَا أَنَّ
الصَّوْتِ الَّذِي سُمِعَ فِي الْحَادِيَةِ عَشْرٍ وَالرَّبْعِ لَمْ يَكُنْ
صَوْتِ عَلَوِي الْحَقِيقِيِّ بَلْ حِيلَةٌ ذَكِيَّةٌ اسْتَعْدَمَهَا الْقَاتِلُ
لِيَبْنِي لِنَفْسِهِ حِجَّةَ غِيَابٍ مِثَالِيَّةٍ.

أَدْرَكَ يَحْيَى أَنَّ اللَّعْبَةَ أَصْبَحَتْ شَدِيدَةً الْخَطُورَةِ وَأَنَّ
الْقَاتِلَ الْحَقِيقِيَّ يَتَمَتَّعُ بِذِكَاةٍ حَادٍ وَبَارِدٍ.

حَسَنًا... قَالَ يَحْيَى بِصَوْتٍ مَسْمُوعٍ وَوَاضِحٍ لِلْجَمِيعِ وَهُوَ
يَقِفُ وَيُوجِّهُ كَلَامَهُ لِلْحَاضِرِينَ :

- بِمَا أَنَّ الْحَقِيبَةَ السُّودَاءَ لَمْ تَخْرُجْ مِنَ النَّافِذَةِ كَمَا قَالَتْ
مَاجِدَةٌ وَلَمْ يَغَادِرْ بِهَا أَحَدٌ مِنَ الْبَنَسِيِّينَ بِسَبَبِ حَصَارِ
الْمَطْرِ فَهِيَ لَا تَزَالُ فِي غُرْفَتِهِ سَاصِعِدُ الْآنَ لَغُرْفَةِ
عَلَوِي مَجْدَدًا، هُنَاكَ مَخْبَأٌ سَرِيٌّ خَلْفَ لَوْحَةِ الْحَائِطِ
الْخَشَبِيَّةِ لَمْ يَنْتَبِهْ لَهُ الْقَاتِلُ فِي الظَّلَامِ وَأَجْزَمَ أَنَّ الْحَقِيبَةَ
وَوُثَائِقَهَا هُنَاكَ...

★————بنسيون————★

كانت هذه كذبة بارعة من يحيى، فخ نفسي مصمم بدقة
ليدفع القاتل إلى التوتر والتحرك لحماية غنيمته.

صعد يحيى الدرج متظاهراً بالبحث وطلب من الجميع
الصرامة والبقاء في الصالون.

تحت وطأة العتمة انتظر يحيى في عتمة الممر العلوي
مستعيناً بظلال الزاوية الطويلة مرت عشر دقائق ثقيلة
كأنها دهر، وفجأة سمع يحيى خطوات خفيفة حذرة
ومتعثرة تصعد الدرج الخشبي في الظلام الدامس،
شخص ما كان يتنفس بتوتر مسموع ويتجه نحو الغرفة
رقم (٥) مستغلاً غياب المحقق يحيى...

مسك ذلك الشخص بمقبض الباب الحديدي وفي تلك
اللحظة بالذات دوى صوت ارتطام قوي وعنيف من
داخل الغرفة المغلقة نفسها تلاه صوت زجاج يتحطم
ويتناثر وصرخة مكتومة مفزعة لرجل...

"الفصل الرابع"

★————بنسيون————★

لم ينتظر يحيى ثانية واحدة وانطلق في الممر المعتم كالسهم ودفع باب الغرفة بقدمه بقوة وعنف جعلت الجدران الخشبية تهتز.

في تلك اللحظة الخاطفة شقت صاعقة رعدية عنيفة كبد السماء وأضاء البرق الأبيض أرجاء الغرفة عبر النافذة التي تحطم زجاجها وتناثر كشظايا الماس على الأرض ليكشف المشهد عن مفاجأة تحبس الأنفاس.

كان محسن مساعد علوي باشا واقفاً في وسط الغرفة ملامحه يكسوها دعر مميت ويده اليمنى تنزف منها الدماء بغزارة إثر ارتطامها بالزجاج المكسور وعلى الأرض بجانب حذائه كانت تقبع الحقيبة الجلدية السوداء الشهيرة، لم تكن الحقيبة في مخبأ سري خلف الحائط كما زعم يحيى في خدعته بل كانت مخبأة خلف الستائر المخملية الثقيلة للغرفة منذ لحظة وقوع الجريمة.

★————بنسيون————★

ولم يكن محسن وحده في الغرفة ففي الزاوية المقابلة
تمامًا خلف المكتب كانت مريم زوجة علوي الشابة تقف
وهي تمسك في يدها بقطعة حديدية مدببة انتزعتها من
حامل الشموع وصدرها يعلو ويهبط بجنون وعيناها
تلمعان بمزيج مرعب من الغضب والوحشية المحاصرة.

اندفعت الخادمة ماجدة والدكتور فريد خلف يحيى إلى
الغرفة بعد أن سمعا الصوت ممسكين ببعض الشموع
صبت ضوءًا برتقاليًا مرتعشًا صبغ جدران الغرفة
بظلال كابوسية ملأت المكان بغموض خائق.

يحيى يتكئ على الحائط ببرود وبنظرة باردة قال :

- أهلاً بكم في مصيدتي الصغيرة كنت أعلم أنَّ طعم هذه
الحقيرة السوداء لا يمكن لثعلب أو أفعى مقاومته لكن
أخبروني قبل أن تصل الشرطة من منكما الذي صعد
أولاً لسرقة الميت.

★=====بنسيون=====★

محسن يضغط على جرح يده النازف وصوته يرتجف
بذعر هيسثيري :

- هي... هي من كانت هنا قبلي أقسم لك يا محقق يحيى
جئت فقط لأستعيد صكوك ديوني التي كان علوي يبتزني
بها فوجدتها في الظلام تسحب الحقيبة من خلف الستارة
وعندما شعرت بحركتي حاولت مهاجمتي بهذه القطعة
الحديدية وقتلي.

مريم تصرخ بحقد دفين وعيناها تتسعان جنوناً :

- كاذب وخائن أنت من وضع له السم في الكأس وتعرف
مكانه جئت لتسرق عقود أملاكي التي كتبها علوي
باسمي لتحرمني منها بعد أن حبسني في سجنه لسنوات.

- كفى الزامو أماكنكم

قاطعهم صوت يحيى الحازم والجهوري كطلقة رصاص
في ليلة ساكنة.

★=====بنسيون=====★

مشى يحيى ببطء وثبات وسط الغرفة وانحنى ليلتقط ساعة الجيب الذهبية المكسورة التي لا تزال عقاربها متوقفة عند الحادية عشر وخمس دقائق نظر إليها بتمعن ثم التفت ببطء نحو محسن ونقل نظراته فجأة للدكتور فريد الواقف عند الباب...

يحيى :

- محسن أنت والدكتور فريد ادعيتما في الأسفل أنكم كنتم معًا في الجناح الشرقي من الساعة الحادية عشر حتى الحادية عشر والنصف تمامًا وأنكم سمعتم صوت علوي يتحدث بغضب في الحادية عشر والرابع أليس كذلك؟

الدكتور فريد يجيب برزانة ويرد ولم يهتز :

- نعم هذا ما حدث وشاهدتنا متطابقة.

★=====بنسيون=====★

يحيى يضيق عينيه :

- لكن علوي باشا مات في الحادية عشر وخمس دقائق
سم السيانيذ الشديد لا ينتظر ثلث ساعة ليموت ضحيته
بل يشل الخلايا ويقطع الأكسجين في ثوانٍ معدودة هذا
يعني حقيقة واحدة الصوت الذي سمعته في الحادية
عشر والرابع كان تسجيلًا صوتيًا وضعه القاتل على
جهاز الجرامفون ليصنع لنفسه حجة غياب مثالية أو أن
أحدكما كان يفقد صوته في الظلام ليضل وقت الجريمة.

التفت يحيى بكامل جسده نحو الدكتور فريد وثبت عينه
خلف نظارته الطبية :

- دكتور فريد، أنت طبيب بارع وحين سألتني في
الصالون بسخرية كيف طُعن علوي في ظهره والسم
يقتل في ثوانٍ ارتكبت غلطتك الكبرى التي كشفت لي
المستور... الطعنة التي في ظهر علوي كانت سطحية

★=====بنسيون=====★

ولم ينزف منها إلا بقعة صغيرة جدًا على قميصه
الأبيض لسبب بسيط لأنها طعنه حدثت بعد الوفاة...

عندما يتوقف القلب عن النبض يتوقف تدفق الدم بغزارة
في الشرايين القاتل الأول وضع السم في كأس النبيذ
ومات علوي فورًا ثم جاء قاتل ثاني لا يعلم عن السم
شيئًا وطعنه في ظهره مدفوعًا بحقد أعمى ليتأكد من
موته ويسرق الحقيبة.

ساد صمت رهيب في الغرفة التفتت فيه الأنظار بذهول
ونفاذ صبر نحو الشخصين اللذين تواجهها في الظلام.

يحيى مستمرًا في تشريحه النفيس للمشهد :

- القاتل الأول هو أنت يا محسن أنت من يملك زيت
المحركات على ثيابك لأنك قمت بتعطيل المولد
الكهربائي للبنسيون مسبقًا لتضمن الظلام التام في أثناء
هروبك وأنت من وضع السم لعلوي في كأسه الساعة

★=====بنسيون=====★

الحادية عشر وخمس دقائق لتتخلص من ذل ديون القمار
وكنْتَ تظن أنك وضعت الحقيبة خلف الستارة بأمان
لتأخذها لاحقاً وتغادر مع انقشاع الضباب.

يحيى يلتفت نحو مريم بنظرة أسي :

- أما أنتِ يا سيدة مريم فقد تسللتي إلى الغرفة بعده
بدقائق في الظلام ولم تلحظي في العتمة أنَّ زوجك قد
فارق الحياة مسموماً بالفعل على مكتبه مدفوعة بسنين
من القهر والإذلال الجسدي ومحو شخصيتك أخذتي
سكين الورق الذهبية المدببة وطعنتي جثته الهامدة في
ظهرها لتثأري لكرامتك المستباحة ثم بحثتي عن الحقيبة
ولم تجديها وسقطت السكين من يدك عندما داهمك
انقطاع الكهرباء الذي نفذه محسن.

★=====بنسيون=====★

انهارت مريم على ركبتيها بين شظايا الزجاج وهي تبكي
بكاءً مريراً غطى على صوت الرعد بينما تراجع محسن
نحو النافذة المحطمة وعيناه تدوران بجنون كحيوان
محاصر يبحث عن مفر.

- لم تنتهِ الرواية بعد...

جملة قالها يحيى وهو يخرج مسدسه الكلاسيكي من
جيب معطفه ببطء ويوجهه نحو محسن...

- الشرطة لن تتأخر بعد أن ينجلي هذا الضباب لكن
هناك تفصيلاً صغيراً فاتكما في هذه اللعبة القذرة.

في تلك اللحظة تقدمت الخادمة ماجدة بخطوات متثاقلة ممتزجة
بالذهول وانحنى تلتقط الحقيبة الجلدية السوداء من على الأرض
وفتحها أمام أعين الجميع لتطلق صرخة خيبة أمل مريرة،
الحقيبة كانت فارغة تماماً من أي وثائق... لا عقود أرض ولا
صكوك ديون ولا أوراق ملكية.

★=====بنسيون=====★

التفتت الأنظار كلها فجأة نحو الشخص الوحيد الذي لم يتحرك من مكانه عند الباب، الدكتور فريد الذي ارتسمت على شفتيه ابتسامة باردة ومرعبة وأخرج من جيب معطفه الطبي الأبيض رزمة من الأوراق القديمة الذي ظهر عليها عوامل الزمن حتى اصفرت وقام بإلقائها فجأة في نيران المدفأة الصغيرة للغرفة والتي كانت تلتهم خطوط الماضي بسرعة وشراسة.

الدكتور فريد ينظر للنار بنظرة انتصار مريضة :

- يبدو أنك ذكي جدًا محقق يحيى لكنك تأخرت خطوة واحدة، الأسرار ماتت مع علوي وما يحترق الآن هو ماضينا ومستقبلنا جميعًا.

★=====بنسيون=====★

"الفصل الخامس"

★————بنسيون————★

تطاير الرماد الأسود الخفيف في هواء الغرفة الخائقة
مستقرًا كدخان الموت فوق السجادة الفاخرة بينما كانت
السنة اللهب الجائعة في المدفأة تلتهم آخر الأوراق
الصفراء التي كانت تحوي وثائق إدانة نصف رجال
المدينة.

نظر المحقق يحيى إلى النار بنظرة غامضة ثم نقل عينه
إلى الدكتور فريد الذي كان يقف ببرود وثقة نرجسية
عارمة ظانًا أنه أحرق خيط إدانته الوحيد وأفلت من حبل
المشقة.

أرجع يحيى مسدسه إلى جيب معطفه ببطء شديد ولم
تظهر على ملامحه الوقورة أي علامة من علامات
المفاجأة أو خيبة الأمل بدلًا من ذلك نفث نفخة طويلة
وأخيرة من سيجارته وارتسمت على شفثيه ابتسامة
ساخرة هزت ثقة الطبيب...

★=====بنسيون=====★

يتقدم يحيى خطوات نحو المدفأة ثم قال بهدوء :

- تظن أنك انتصرت في مباراة الشطرنج هذه يا دكتور فريد وتظن أن إحراق بضعة أوراق في جوف الليل يمحو أثر الجريمة المنظمة.

الدكتور فريد يعدل نظارته الطبية بثقة ويزيح غبار الرماد عن معطفه الأبيض :

- من دون تلك الوثائق يا محقق يحيى أنت لا تملك دليلاً واحداً يربطني بجريمة علوي لا دليل مادي يثبت أنني شاركت في المؤامرة أو التستر عليها محسن الغبي هو من وضع السم ومريم المجنونة طعنت الجثة أنا مجرد طبيب لبى نداء الواجب وجاء ليفحص مريضاً يئن من آلام صدره.

★=====بنسيون=====★

التقط يحيى ملقطاً حديدياً طويلاً بجوار المدفأة وحرك
الرماد المشتعل ببطء ثم التفت بكامل جسده نحو الطبيب
وضيق عينيه خلف نظارته الكلاسيكية.

يحيى :

- أنت طبيب بارع في تركيب السموم الكيميائية يا دكتور
فريد ولكنك رجل قانون فاشل، محسن غبي وقد وقع في
شر أعماله حين اعترف ضمناً بتعطيل المولد الكهربائي
للبنسيون لكن هذا المسخ لم يكن ليجرؤ على خطوة
واحدة لولا أن هناك عقل مدبر وشيطاناً قابلاً في خلفية
المشهد أقنعه بأن هناك حجة غياب مثالية تنتظره في
الجناح الشرقي لتبعد عنه أصابع الاتهام.

التفت يحيى فجأة بنظرة حادة نحو محسن الذي كان
ينزف على الأرض ويرتعش ذعراً :

★=====بنسيون=====★

- أليس كذلك يا محسن؟ من الذي أحضر لك سم السيانييد وأقنعك أن وضعه في كأس النبيذ لن يترك أثراً جنائياً ومن الذي أخبرك أن ساعة علوي باشا يجب أن تحطم عند الساعة الحادية عشر وخمس دقائق لتضليل وقت وقع الجريمة بينما يقوم هو بتشغيل الأسطوانة المسجلة بصوت علوي في الحادية عشرة والرابع ليصنع لكما الحماية؟

صاح محسن بانهييار كامل وهو يشير بإصبعه نحو الدكتور فريد بصوت مبحوح :

- هو الدكتور فريد هو من خطط لكل شيء في عيادته قبل يومين قال لي أن علوي سينتهي؛ عملنا معاً الليلة وسيسجنني بسبب الديون وأنه هو أيضاً سوف يفلس وسينكشف تزويره للأموال هو من أعطاني زجاجة السم الصغيرة ورتب خطة الوقت بدقة.

★=====بنسيون=====★

تلاشت الابتسامة الباردة عن وجه الدكتور فريد فجأة
وتحول بروده الأرسنقراطي إلى شحوب قاتل وبالذات
مفاصل يديه ترتجف خلف ظهره...

الدكتور فريد بصوت حاد :

- شهادة مجرم ومقامر مثله لا قيمة لها أمام المحكمة أين
دليلك؟ المادة الملموسة يا محقق يحيى، الأوراق أصبحت
رمادًا.

يحيى :

- الدليل المادي الحقيقي لا يحترق في المدفأة يا دكتور،
عندما فحصت جثة علوي باشا في المرة الأولى لاحظت
شيئًا غريبًا لم تنتبه له مريم في ظلامها ولم يره محسن
في ذعره كانت هناك بقعة حبر أزرق جافة على أطراف
أصابع علوي اليمنى وبقعة مماثلة على ورقة بيضاء
فارغة مستقرة على مكتبه.

★=====بنسيون=====★

أخرج من جيب معطفه الداخلي ورقة مطوية بعناية فائقة
لم تكن في الحقيبة الجلدية السوداء مطلقًا بل كانت مخبأة
في الجيب الداخلي لسترة (علوي) المقتول نفسه.

يحيى يفتح الورقة أمام أعين الطبيب...

- علوي باشا... لم يكن يرتب حساباته الليلة الماضية بل
كان يكتب رسالة استغاثة إليّ أنا شخصيًا يطلب فيها
حمايتي وذكر الأسماء وبخط واضح أنه يتعرض
للابتزاز والتهديد الصريح بالقتل من قبل طبيبه فريد
ومساعده محسن علوي، لم يكن يثق بالحقيبة السوداء
لأنه يعلم أنها مستهدفة فوضع الرسالة الحقيقية في جيب
صدره قبل دقائق من تجرعه السم أما الأوراق التي
أحرقها أنت قبل قليل بزهو فكانت مجرد نسخ قديمة
لعقود منتهية الصلاحية وضعها علوي كطعم في حقيبتة
لأنه كان يعلم بذكائه أنّ هناك خائنًا يراقب حركاته.

★=====بنسيون=====★

سقطت كلمات المحقق يحيى كأن المطارق الحديدية على رأس الطبيب الذي تراجع خطوتين إلى الخلف حتى اصطدام بجدار الغرفة ومطأطئ رأسه وعيناه تدوران في الفراغ مدرگا أن نكاهه الشديد قاده ببديه إلى الهلولة.

مع الكلمات الأخيرة للمحقق يحيى بدأت خيوط الفجر الرمادية الأولى تشق عتمة الضباب الكثيف في الخارج عبر النافذة المحطمة توقف المطر تمامًا وساد هدوء نقي في الأجواء كأن الطبيعة تغسل آثار ليلة دموية طويلة ومن بعيد شق الصمت صوت جرس مألوف وهدير محركات كلاسيكية قوية كانت سيارات الشرطة السوداء قد تمكنت من الوصول أخيرًا بعد انقطاع المطر ووضوح الرؤية.

★ بنسيون ★

التفتت الخادمة ماجدة نحو النافذة وعيناها تلمعان بدموع الراحة والنصر وعلى الرغم من أن أوراق أرض عائلتها قد فقدت في حريق الطبيب إلا أن العدالة قد تحققت لوالدها الراحل بطريقة أخرى أشد قسوة.

أما مريم فكانت لا تزال واجمة على مقعدها الخشبي تنظر في صمت ميت إلى قيد الحديد الذي ينتظر معصمها الناعمين ثمناً لطعناتها الغادرة...

أعاد يحيى علبة سجائره إلى جيبه وسار بخطوات ثابتة نحو الباب الرئيسي للبنسيون ليفتح لرجال الشرطة وقبل أن يغادر عتبة الغرفة رقم (٥) التفت للمرة الأخيرة إلى الوجوه الشاحبة وقال بصوت هادئ يحمل حكمة السنين وعمق المأساة :

- المرء قد يخطط للجريمة الكاملة في أحلك ظلمات الليل لكنه ينسى دائماً أن الشمس لا بد أن تشرق لتكشف العورات...